آراء وافكار

—«»—

الترجمان المعرب عن دول
« المشرق والمغرب »

كتاب مازال مخطوطاً مؤلفه ابو القاسم الزياني احد كتاب دولة العلويين في المغرب الأقصى . ومنصب الكتابة في هذه الدولة من اعلا المناصب وربما استغني عن الوزير بالكاتب بل ان الزياني هذا فوق منصبي الكتابة والوزارة كان سفيراً ايضاً فقد أرسله مولاي محمد بن عبدالله سلطان المغرب سنة ١٢٠٠ هـ سفيراً الى الاستانة لدى السلطان عبدالحميد الاول . وكان الزياني من رجال العلم والدين والتقوى ولم يكن من رجال الادارة والسياسة المبتنية على الحيلة والدهاء . ويعوزها حزم وزكاء . ولم يكن في الزياني شيء من ذلك وانما فيه بساطة واخلاص وصدق وأمانة . وكان سلاطين المغرب يضطرونه الى خدمة دولتهم اضطراراً . وقد جرّ ذلك عليه بلاءً ومحناً . فكان يكثر التبرم من اشتغاله بالسياسة ويتمنى على الله ان ينقذه من شرورها . وقد وصفه السلطان العثماني وصفاً صادقاً كما ذكر ذلك الزياني في مخطوطته التي نحن في صدد وصفها فقد قال ما خلاصته :

وجهني السلطان بهدية الى السلطان العثماني فأقمت ثمة مئة يوم وقضيت الغرض ورجعت . فوجه معي السلطان احد خدامه بهدية الى سلطاني وكتب اليه كتاباً مدحني فيه فقال : « وصلنا من مقامك الأسنى عشرون سفيراً وأحسنهم عقلاً ونبلاً وسياسة (؟) وأدباً فلان (يعني الزياني) فانه أدى لنا رسالتك وهديتك بادب وانفصل عنا بادب فمثله من يكون سفيراً بين الملوك فان اقتضى نظرك توجيه سفير من أطرافك فليكن هو فان باطنه وظاهره سواء » . وبهذا المعنى كتب الوزير (العثماني) يوسف باشا كتاباً الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السلطان (المراكشي) فلما قرأ السلطان ذلك سر سروراً عظيماً ولما خرج للشور ؟ أمر بقراءة المكاتيب في الملأ وقال « هكذا نحب أصحابي فجزاك الله خيراً فانني لا أوجه الهدايا للمهانين الا معك » .

اما مخطوطته فقد كنت أبحث عن نسخة منها حتى ظفرت بها عند صديقي السيد حمزة الرفيق في مدينة (وهران) واذا هي في ٥٨٤ صفحة مكتوبة بخط مغربي غير واضح وفيها تحريف يعسر تصحيحه وقد الفها مؤلفها سنة ١٢٢٦ هـ وكتبها كاتبها سنة ١٢٨٦ هـ اي بعد تأليفها بستين سنة .

وقال المؤلف في سبب تأليفها انه كان يوماً في مجلس مولاي سليمان ابن السلطان سيدي محمد بن عبدالله فجرى ذكر الامم الخالية والدول الماضية . فكلفه مولاي سليمان ان يضع تأليفاً جامعاً للدول ولأنساب قبائل المغرب فاعتذر فألح عليه . وفي اثناء ذلك مات السلطان محمد فخلفه (السلطان الجديد اميرالمؤمنين اليزيد) فنكبه هذا السلطان وسجنه وبقي مسجوناً حتى مات السلطان فخرج من السجن وأزمع الرحلة عن بلاد المغرب فمنعه منها السلطان الجديد صديقه مولاي سليمان بن محمد وقلده ولاية (وجدة) فذهب اليها فنهبه الأعراب في الطريق فانقطع في مدينة (تلمسان) وأقام فيه معتزلاً والف هذا الكتاب . ورتبه هكذا :

(المقدمة) تتضمن مايجب على السلطان وله
(الباب الاول) آدم والطوفان
(الثاني) تفرق اولاد نوح
(الثالث) دولة الفرس
(الرابع) ملوك اليمن
(الخامس) الفراعنة
(السادس) بنو اسرائيل
(السابع) البابليون
(الثامن) اليونان
(التاسع) الروم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(العاشر) الاسلام وظهور النبي عليه السلام
(الحادي عشر) بنو أمية وفتح الاندلس
(الثاني عشر) بنو العباس الى ظهور بني عثمان
(الثالث عشر) الفاطميون الى ظهور الايوبيين عليهم
(الرابع عشر) بنو عثمان
(الخامس عشر) الادارسة وملوكهم الى زمن المؤلف

وبعد هذه الأبواب :

(جامعه)
(خاتمة) ضمنها رحلته الى المشرق والاستانة والحجاز
(فصول)

وذكر في الجامعة وصفاً لملك آل عثمان لايقره عليه التاريخ الصحيح : من مثل ان العثمانيين كانت سلطتهم ممتدة الى بلاد فارس وخراسان وجرجان وطبرستان وبخارى وسمرقند وخوارزم الخ الخ ثم ذكر مجملاً من تاريخ آل عثمان بعد ضعفهم وقوة دول الافرنج حواليهم حتى تبدد ذلك الملك الشاسع ولم تبق منه سوى بقيـة كانت سلطة العثمانيين عليها بالاسم ايضاً ولم تكن لهم سلطة فعليـة الا في ماجاور الاستانة من الولايات وأشار الى قيام الوهابيين في جزيرة العرب و (آل رسول) في اليمن حتى غلبهم الزيدية قال : « ولم يزل امر هذه الدولة العثمانية يضعف وهي في مرض من الايام وهم يعالجون مرضهم بالسياسة والتدبير الى ان يتم امر الله في شأنها عند هرمها » وأشار ايضاً الى ان العثمانيين كانوا يجارون رعاياهم فلا يردون لهم طلباً مهما كان ، خشية اغتنام دول اوربا الفرص وهجومها عليهم . وما أنقله هنا من هذا الكتاب هو الذي يستحق النقل وما سواه لافائدة فيه . اللهم الا رحلته الى المشرق فانها على صغرها صورة للعالم الاسلامي منذ مئة وثلاثين سنة . وقد عزمت على نشرها في كتاب على حدة .

(تلمسان) : محمد سعيد الزاهري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net